المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الرابع والستين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٢٤ — الموافق ٢٧ رمضان سنة ١٣٤٢

سابا باشا

ترقية البلدان عمل كبير واسع النطاق يشترك فيهِ الملك والوزير والمعلم والتاجر والصانع والزارع كلٌّ بما اوتي من ذكاء عقلي وقوة بدنية . ومن اوتي مقدرة فائقة واستعملها في ترقية بلادهِ فهو المفيد المتفضل الحقيق بكل اكرام . والرجال الذين من هذا القبيل قليل عددهم في كل امة وسابا باشا واحد منهم بل من اعظمهم لانهُ تولى عملاً من انفع الاعمال العمومية واكثرها تعقيداً ألا وهو البريد المصري فنظمهُ ورقّاهُ واتقنهُ حتى صيّرهُ في المرتبة الاولى بين بُرُد الممالك المتمدنة . ولما رأى ان عملهُ فيهِ قدم وان الذين كانت في يدهم ادارة مالية الحكومة لا يطلقون يدهُ ليزيد الاصلاح استقال من منصبهِ . وقد كتبنا عنهُ حينئذٍ في مقتطف يونيو سنة ١٩٠٧ ما لا بأس باعادتهِ الآن قلنا

« كيفما قلّب المرء طرفهُ في احوال هذا القطر واعمال حكومتهِ رأى دلائل الارتقاء بادية عليها كلها ولو على درجات متفاوتة . والثقات الذين يعتمد على قولهم يشهدون أن مصلحة البريد من ارقى مصالح القطر ان لم تكن ارقاها كلها ويشاركهم في هذه الشهادة الالوف من سكانهِ من وطنيين واجانب . ثم ان الاوربيين والاميركيين الذين تكلموا عن مصلحة البريد المصرية وقابلوها بمصالح البريد في اوربا واميركا شهدوا انها من ارقاها كلها لا تفوقها مصلحة بريد في اوربا ولا في اميركا وان الفضل الاكبر في ترقيتها وابلاغها هذا الحد هو لمديرها العام صاحب السعادة سابا باشا . وقد عزم هذا العامل الهمام على اعتزال الخدمة وضمّن التقرير السنوي الاخير الذي وضعهُ لمصلحة البريد ادلّة ارتقائها في العشرين سنة الماضية اي منذ تولى ادارتها الى الآن . وقد

جمعنا خلاصة ذلك في الجدول التالي وهو عن ارتقاء كل فرع من فروع البريد من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٩٠٦ محسوبة فيه حالتهُ كل سنة خامسة بدلاً من كل سنة

	١٨٨٦	١٨٩١	١٨٩٦	١٩٠١	١٩٠٦
عدد المراسلات	١٢٦٩٥٠٠٠	١٧١١٦٠٠٠	٢٤١١٠٠٠٠	٣٣٧٢٠٠٠٠	٥٨٠٠٠٠٠
« الخطابات المؤمن عليها	١٣٦٠	٢١٠٠	٢٢٠٠	٤٠٠٠٠	١١٧٠٠
قيمة « «	٤٢٨٠٠ ج	٨٢٣٠٠	٧٢٨٠٠	١٩٠٠٠٠	١٠٦٨٠٠٠
الحوالات وصرر النقود	١٠٦٥٣٠٠٠	١٣٣٥٣٠٠٠	١٥٩٠٠٠٠٠	١٧٤٠٠٠٠٠	٢٣٣٥٨٠٠٠
عدد طرود البوسطة	١٢٣٣٠٠	٢٠٣٦٠٠	٢٨٤٠٠٠	٤٤٧٠٠٠	٨٥٨٠٠٠
عدد اوراق التحصيل	٢١٠٠	٣٧٢٠٠	٤٢٨٠٠	٦٢٥٠٠	١١٦٦٠٠
قيمة « «	٦٣٠٠ ج	٦٠١٠٠	١٨٢٢٠٠	٤٣٦٥٠٠	٩٠١٣٠٠
مكاتب البوسطة وفروعها	١٧٤	٥١٧	٧١١	٩٧٢	١٢٤٩
دخل مصلحة البريد	١١٤٣٠٠	١١٢٢٠٠	١١٤٧٠٠	١٤٣٢٠٠	٢٣٧١٠٠

فعدد المراسلات زاد من نحو ١٢ مليوناً الى ٥٨ مليوناً اي نحو خمسة اضعاف وعدد الخطابات المؤمن عليها زاد من ١٣٦٠ الى ١١٧٠٠ اي نحو ثمانية اضعاف وقيمتها من ٤٢٨٠٠ جنيه الى مليون و٦٨ الف جنيه اي ٢٥ ضعفاً . وقيمة الحوالات وصرر النقود من عشرة ملايين الى ٢٣ مليوناً فزادت ١٣ مليوناً من الجنيهات وعدد الطرود من ١٢ الفاً الى نحو ٦٨ الفاً وعدد اوراق تحصيل النقود من اثنين الى ١٦ الفاً وقيمتها من ٦٣٠٠ جنيه الى تسع مئة الف جنيه ومكاتب البوسطة وفروعها من ١٧٤ الى ١٢٤٩

«وقد خفضت اخيرة نقل المراسلات كلها النصف ومع ذلك زاد دخل مصلحة البريد من نحو سبعين او ثمانين الف جنيه في السنة الى نحو ٢٣٧ الف جنيه اما الدخل المذكور سنة ١٨٨٦ و١٨٩١ فيشمل ايضاً ايراد وايرادات البوسطة التي ابطلت من ذلك العهد

«وقد اضيف الى البريد ما سمي بصندوق التوفير يشترك فيه الآن نحو تسعة وخمسين الف نفس الوطنيون منهم نحو ٤٤ الفاً والباقون من الاجانب . وثمانية آلاف من هؤلاء التسعة والخمسين الفاً نساء . وكان في هذا الصندوق في ختام العام الماضي ٣٣١ الف جنيه وكان فيه في ختام العام الذي قبلهُ ٢٤٠ الف جنيه وفي ختام عام ١٩٠١ الذي انشيء فيه نحو ٤٨ الف جنيه لا غير . واضيف اليها ايضاً صندوق توفير للاحداث فاشترك فيه حتى آخر العام الماضي ٤٢٢٥ منهم وعيّن مستخدم مخصوص يذهب الى المدارس في ايام معلومة لاستلام ما يوفرونهُ وايداعهِ صندوق التوفير

«وكيفما قلبت نظرك في اعمال البريد المصري لا تجد الا عقلاً مدبّراً اهتمّ بمصلحة

البلاد وتسهيل المعاملات على سكانها وهو عقل الرجل الهمام سابا باشا مديره العام. ولقد كان يحضر المؤتمرات الدولية ويقترح فيها الاقتراحات المفيدة ويناضل عنها حتى يقبلها رفاقه من مديري البريد ويُعمَل بها. فله فضل على البريد الدولي كله بنوع عام كما له فضل على البريد المصري بنوع خاص. وهو لا يزال كهلاً في تمام قوته وهمته. فقد ولد سنة ١٨٥٣ من عائلة سورية استوطنت القطر المصري في زمن محمد علي باشا ووظف في مصلحة البوستة سنة ١٨٧٢ وجُعل وكيلاً لها سنة ١٨٨٥ ومديراً عامًّا سنة ١٨٨٧ وناب عن الحكومة المصرية في مؤتمر فينا سنة ١٨٩١ وفي مؤتمر وشنطون سنة ١٨٩٧ وفي مؤتمر رومية سنة ١٩٠٦ ونال الرتبة الثانية سنة ١٨٨٢ ورتبة ميرميران سنة ١٨٨٨ ومن النياشين المجيدي الثاني والعثماني الثاني والمجيدي الاول ونيشان تاج ايطاليا من الدرجة الاولى ونيشان فرانسوى جوزف النمسوي من الدرجة الثانية.

ولما عيّن مديراً عامًّا للبوستة كتب لورد كرومر في تقريره يقول انهُ اول وطني عين مديراً لمنصب هام وان تعيينهُ في هذا المنصب الهامّ ارضى جميع الذين يهمهم ذلك. ولما استعفى من هذا المنصب كتب اليهِ ناظر المالية يقول نيابةً عن الحكومة المصرية « واذا شقّ عليكم ان تفارقوا مصلحة اقمتم فيها منذ خمسة وثلاثين عاماً وادرتموها منذ عشرين سنة فنظارتنا تأسف من جهتها اشد الاسف لحرمانها من موظف كبير فاضل مثلكم بعد الخدمة الطويلة التي قمتم بها لتوسيع مصلحة البريد التي حلّت تحت ادارتكم الموصوفة بالتدبير والفطنة محلاً رفيعاً ونجحت نجاحها الباهر المشهور. ولا ولا يمكنني ختم هذا الكتاب بدون ان اعرب لكم عن خالص شكري وشكر الحكومة لخدماتكم الطيبة الثمينة. واوجه لكم اخلص تهنئاتنا بالتقدم العظيم الذي احرزتم قيادة مصلحة البريد اليه » انتهى ما نشرناهُ حينئذ

***

وللحال عين مديراً في شركة مياه القاهرة وكان كامل باشا صدراً اعظم في الاستانة وهو عالم بمقدرته وكفاءته في تنظيم البريد فطلب اليهِ ان يذهب الى الاستانة ويتولى ادارة البريد العامّة في السلطنة العثمانية كما كان في الحكومة المصرية فلم يشأ. ثم لما انتقلت الصدارة الى مختار باشا عرض عليهِ ان يذهب الى الاستانة ويكون وزيراً فيها للبوستة والتلغراف والتلفون فذهب اليها ولكنهُ وجد الحالة لا تمكنهُ من الاصلاح الذي ينويهِ فعاد الى مصر

ورأى وليّ الامر ان تعود الحكومة المصرية الى الانتفاع بمواهبهِ فأُسندت اليهِ

وزارة المالية سنة ١٩١٠ . فبقي في هذا المنصب اكثر من سنتين. ثم مرض احد ابنيه وتوفي فاثرت وفاتهُ فيه تأثيراً شديداً فصمَّم على الاستقالة وارادت الوزارة التي كان فيها صرفهُ عن هذا العزم فلم تفلح

لكنهُ لم ينقطع عن خدمة وطنهِ بانفصالهِ عن الوزارة فصار مديراً لشركة الماء وعضواً في مجلس البنك الاهلي وشركة التبريد . ولما انشىء البرلمان في اوائل هذا العام اختير عضواً في مجلس الشيوخ لكن فاجأهُ داء يصيب كثيرين من اصحاب الاشغال العقلية ففاضت روحهُ ظهر الثلاثين من شهر مارس الماضي وهو في الثانية والسبعين من عمرهِ . وانتشر نعيهُ في العاصمة والاقاليم بسرعة البرق فبكاهُ اصدقاؤهُ وخلانهُ وكل عارفي فضلهِ وسار الوزراء والوجهاء في جنازتهِ عصر الاثنين الى كندراتية الروم الكاثوليك حيث صلي عليهِ واينهُ الخطباء والشعراء ونقلت رفاتهُ صباح اليوم التالي الى الاسكندرية حيث دفن باحتفال عظيم في مدفن اسرتهِ

كان الفقيد يحسن الايطالية والتركية والفرنسوية والانكليزية مع لغتهِ العربية واسع الاطلاع قوي الذاكرة في الدرجة القصوى من الانس واللطف والكرم وحسن المحاضرة محبوباً من اصدقائهِ مقصوداً في الحاجات متصدقاً محسناً فخسرت الديار المصرية بوفاتهِ شهماً غيوراً تحتاج الى امثالهِ في عهد استقلالها وقد عبَّر نوابها عن شكرها لهُ وحزنها عليهِ بلسان رئيس مجلس الشيوخ احسن تعبير حيث قال

« حضرات الزملاء الافاضل

« من دواعي اسفي الشديد ان اقف اليوم بينكم لكي اقوم بواجب الرثاء نحو زميل فاضل من زملائنا اغتالتهُ المنية قبل ان يؤدي بيننا الخدمة التي كانت ترجى من علمهِ وفضلهِ وهو المرحوم المبرور يوسف سابا باشا

« كان المرحوم سابا باشا من المصامين الذين امتازوا بالهمة والحزم وحسن الادارة تولى ارفع المناصب في الحكومة المصرية فاظهر فيها من الكفاءة والاقتدار ما وضعهُ في طبقة احسن رجالنا وكان في حياتهِ العامة وحياتهِ الخاصة مظهراً للاخلاق الفاضلة والقدوة الصالحة التي يقتدى بها

« اقترن اسم الفقيد بصفة خاصة بمصلحة البوستة المصرية فقد كان مديراً عاماً لها اكثر من عشرين سنة وبذل في تنظيمها وحسن ادارتها كل ما وهبهُ الله من ذكاء وهمة حتى اصبحت تضارع احسن ادارات البوستة الاوربية واليهِ يرجع الفضل الاكبر في ما نالت تلك المصلحة من حسن السمعة وفي ما تراهُ فيها الآن من الدقة والنظام

في العمل وستبقى ذكراهُ مشكورة لما ترك فيها من آثار الجد وضروب الاصلاح

«وفي عام ١٩١٠ أسندت اليهِ وزارة المالية فبقي في هذا المنصب الرفيع أكثر من سنتين أدار في اثنائها مالية البلاد بما امتاز بهِ من واسع الخبرة وبما عرف عنهُ في جميع شؤون حياتهِ من التدقيق وبعد النظر

«وكان ختام حياتهِ العامة ان اختارتهُ الحكومة ليكون عضواً في مجلس الشيوخ اعترافاً بفضلهِ ورغبة في الاستفادة من حكمتهِ وسديد رأيهِ

« وكل من عاشر الفقيد وعرف مكارم اخلاقهِ يأسف كل الاسف لوفاتهِ ويعد فقدهُ خسارة كبرى على البلاد ونحن بطبيعة الحال أشد الناس شعوراً بهذه الخسارة لانا حرمنا صديقاً ناصحاً وزميلاً مخلصاً أميناً

« وأني لعلى يقين بأني اعبر عن رأي المجلس كله بقولي ان هذه الهيئة الموقرة تشاطر عائلتهُ الكريمة الاسف على فقدهِ »

وقول رئيس مجلس الشيوخ فيهِ اصدق قول واعظم شهادة لاعمالهِ الخالدة

وابنهُ في مجلس النواب سعادة محمود صدقي باشا ثم اوقفت الجلسة عشر دقائق حداداً على الفقيد الكريم

وقد نال من اوسمة الشرف غير ما ذكر سابقاً وشاح النيل الاكبر من جلالة ملك مصر ووسام مار ميخائيل ومار جرجس من رتبة فارس ومعهُ لقب سر Sir من جلالة ملك الانكليز

الانف والصحة

الانف هو الطريق الذي اعدتهُ الطبيعة للتنفس وعدا وظيفتهُ الكبرى وهي الشم لهُ ثلاث وظائف اخرى لا تقل اهمية عن وظيفة الشم في النظر الطبي ولتسهيل فهم هذه الوظائف لا بد اولاً من كلمة في تركيب الانف الداخلي

في وسط الانف حاجز يقسمهُ الى قسمين وهذا الحاجز قسمان الواحد عظم والثاني غضروف وليس لهُ وظيفة طبية سوى حفظ هيئة الانف الخارجية وهو يفصل ثلثي الانف الاماميين واما الثلث المؤخر فلا حاجز فيهِ بل هو فتحة واحدة

اما جدار الانف الجانبي فيهِ على الجانبين ثلاثة نتوآت الواحد فوق الاخر وداخل الانف كلهُ مبطن بغشاء مخاطي يختلف تركيبهُ في اقسام الانف المختلفة . فالغشاء الذي يغطي الحاجز رقيق لا وظيفة مهمة لهُ . والغشاء الذي يغطي النتوء